لقد اتسم التصنيف فى النحو بطابعين رئيسين:

الطابع الأول: طابع تعليمى وهو الغالب، والغرض منه عرض مسائل النحو وقضاياه حتى يتسنى للدارسين الوقوف عليها أملاً فى استيعابها ومراعاتها عندما ينطقون أو يكتبون، ولانريد بالطابع التلعيمى كتب النحو الخاصة بتعليم المبتدئين وإنما نعنى به ما صنف لبيان الضوابط التى تميز الصواب من الخطأ فى التركيب وبنية المفردات وما صنف فى تطبيق هذه الضوابط على النصوص سواء أكانت مفصلة للشادين أم مطولة للمتخصصين فالغرض منها مختصرة أو مطولة تعليم النحو وإن اختلفت المستويات التعليمية.

ولم تبرأ المصنفات ذات الطابع التعليمى من آثار الطابع النظرى الفلسفى بل طعمت حواشيها ببعض تلك الآثار بدءً بكتاب سيبويه وظلت بصماتها على صفحات المصنيفين وصولاً إلى المنظومة النحوية التى حققت مطلبين هما الاختصار فى الحجم وشمول أبواب النحو وقضاياه ومسائله بل شقت هذه الأبواب وفرعتها وربما تعارض المطلبان. يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فى أول كتابه «هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية، وهى تجرى على ثمانية مجار. على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف ... وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شئ منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لايزول عنه لغير شئ أحد ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها ضرب من اللفظ الحرفى، وذلك الحرف، حرف الإعراب»[1].

فى هذا النص يضع سيبويه نظرية العامل كاملة، وهى تقوم على سؤال كبير هو ما علة حركات الإعراب. وهذا التساؤل هو الذى وجه التفكير النحوى إلى الواجهة التى وجدناه عليها، وهو تساؤل يبدو طبيعياً لأن بداية

(١) سيبويه، الكتاب، جـ ١، ص ١٣.